(المحاضرة السادسة)

دولة المرابطين وامتدادها في بلاد السودان:

إن المتتبع للتطورات السياسية التي عرفتها صحراء صنهاجة اللثام طول العصر الوسيط، يلاحظ إخفاقا متواليا لكل محاولة تستهدف إقامة وحدة سياسية قوية ومستمرة بين القبائل الصنهاجية، ولا شك أن انتشار الإسلام بينهم في خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، قد هيأ ظروفا مساعدة لمثل هذه الوحدة، إلا أنه كان غير كاف أمام التحديات القاهرة التي تفرضها طبيعة ومناخ الصحراء.[1]

وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي تمكنت مملكة غانة من السيطرة على أودغشت، وظلت الوضعية السياسية للصنهاجة اللثام مضطربة إلى حيث بداية العقد الثالث من القرن الخامس الهجري، حيث تمكنوا من توحيد صفوفهم تحت زعامة الأمير أبي عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا اللمتوفي، وتذكر المصادر أن الزعيم الصنهاجي الجديد، كان من أهل الفضل والدين والحج والجهاد[2]، ولكن هذا الأخير استشهد بعد ثلاثة أعوان في مكان محاذ لقبيلة بني وارث الصنهاجية، وعلى هذا الأساس فإن جهاد تارشتا للسودان لم بشمل، وذلك على أبعد تقدير، سوى بعض قبائل السودان الموجودة على الهوامش الشمالية لمملكة غانة[3]، ويبدو أن مثل هذه العمليات الجهادية الصنهاجية لم تكن تثير مملكة غانا وكانت هذه متزامنة مع جهاد أهل مدينة "سلي" على الحدود الغربية للمملكة[4]، بينما كان للمسلمين خطوة عند حكام غانة وأهلها، فيتهيأ أن ملوك غانة كانوا يرغبون في تحويل المجتمع الغاني للإسلام ما دام الغرض من تلك الحركة الجهادية هو نشر الإسلام وليس المساس بكيان المملكة.[5]

---

[1] -أحمد الشكري، الإسلام و.... المتحدة، المجتمع الثقافي، 1420 هـ/ 1999م، ص 120.
[2] - أحمد الشكري، الإسلام و....، ص 121. ابن أبي زرع القرطاس، ص 12/ البكري، ص 164.
[3] - أحمد الشكري، الإسلام و....، ص 121.
[4] - أحمد الشكري، الإسلام و.... 121/ البكري، ص 172.
[5] - أحمد الشكري، الإسلام و.... ص 121- 122.

وبعد هلاك الأمير محمد بن تيفاوت اللمتوفي قرابة عام (425 هـ/ 1034 م)[6]، تولى صهره يحي بن إبراهيم الجدالي أمر صنهاجة من بعده، وبذلك انتقلت رئاسة الحلف الصنهاجي لأول مرة في تاريخه من لمتونة إلى جدالة.[7]

وفي عام (427 هـ/ 1036 م) استخلف الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي ابنه إبراهيم على رئاسة الحلف الصنهاجي، وقصد المشرق لحج بيت الله الحرام، وفي طريق عودته توقف بالقيروان للأخذ عن شيخ المالكية بالمدينة، أي عمران الفاسي[8]، وقد وجد هذا الأخير أن الأمير الصنهاجي الجدالي صحيح النية والعقيدة واليقين ولكن كان علمه متواضعا بما يصلح دينه ولا يحفظ من الكتاب والسنة حرفا[9]، وبعد انتهاء الحوار الذي دار بين الطرفين طلب الأمير الصنهاجي من الشيخ أبي عمران الفاسي أن يوفد معه أحد تلامذته إلى الصحراء ليعلم صنهاجة أحكام دينهم، إلا أن الطلبة أشفقوا على أنفسهم من دخول الصحراء فكان أن كتب أبي عمران رسالة إلى "واجاج بن زلو" شيخ رباط نفيسي، يوصيه فيها بالأمير، ويطلب منه أن يحقق رغبته[10].

وفي أحد شهور عام (430 هـ/ 1039 م)، وصل يحي بن إبراهيم إلى الرباط المذكور، وسلم الرسالة لصاحبها، فقرأها "واجاج" على تلامذته، ثم انتدب منهم عبد الله بن ياسين الجزولي لمرافقة الأمير لبلاد صنهاجة[11]، وقد قبل الطالب عرض شيخه دون تردد، وربما أظهر حماسا، وعبد الله بن ياسين الجزولي من قبيلة جزوية من أهل سوس، وبحكم العلاقات التجارية بين منطقة سوس وبلاد السودان يمكننا القول بأن الصحراء لم تكن غريبة عنه جغرافيا ولا بشريا.[12]

قامت الدولة المرابطية في صحراء الملثمين خلال النصف الأول من القرن الـ 25/ الـ 11م، وقد تمكنت هذه الدولة الملثمية من إعادة بسط نفوذها على صحرائها كلها، بعد

---

[6] - أحمد الشكري، الإسلام و....، ص 122/ الكري، ص 164، ابن أبي زرع، ص 122.
[7] - أحمد الشكري، الإسلام و.... ، ص 122.
[8] - أحمد الشكري، الإسلام و.... ، ص 122/ البكري/ ص 164 / ابن أبي زرع، القرطاس، ص 122.
[9] - أحمد الشكري، الإسلام و.... ، ص 123/ ابن أبي زرع، القرطاس، ص 122.
[10] - أحمد الشكري، الإسلام و.... ، ص 123.
[11] - أحمد الشكري، الإسلام و.... ، ص 123، / البكري، ص 168/ ابن أبي زرع، ص 123.
[12] - أحمد الشكري، الإسلام و.... ، ص 128/ ابن خلدون، العبر، ج 1، ص 99، ج 6، ص 320، 577.

تحريرهم الأجزاء التي كانت غانة تحتلها، بل إن سيطرتهم تجاوزت مناطق نفوذهم التقليدية لتشمل معظم أجزاء المغرب الإسلامي خلال القرن الـ 25/ الـ 11 م، مما مكنهم من تحقيق الأهداف التي كانوا يصبون إليها، حيث سيطروا على الطرق والمراكز التجارية ووضعوا حدا لهيمنة منافسيهم في المناطق في المجالين الاقتصادي والسياسي خاصة غانة وزناتة، كما تمكنوا من توحيد منطقة نفوذ جديدة لدولتهم يسودها المذهب السني المالكي[13]، ويمكن القول أن سيطرة المرابطين على الصحراء لم تتم بشكل مضبوط ومحدد، إلا بعد أن أحكموا سيطرتهم على المراكز التجارية الكبرى ومنطلقات الطرق على طرفي تلك الصحراء.

خاصة أودغشت سنة 1054م وسجلماسة سنة 1055م، فاكتمل قيام دولة المرابطين في الصحراء وتتالى على حكامها مجموعة من الأمراء بذل كل واحد منهم جهودا مغنية لتدعيم أركانها وتأمين استمراريتها وتمكينها من أداء رسالتها المتمثلة في نشر الإسلام السني المالكي في المنطقة.[14]

[13] -الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف ...، تقديم أ.د. محمد حجي، 1412 هـ/ 200 م، ص 123، (أطروحة دكتوراه بجامعة محمد الخامس)، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

[14] -الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين ....، ص 140.